

(٤) الشعر ديوان العرب:

معنى القول: الشعر ديوان العرب، أي الشعر العربي
عند العرب، بمثابة كتاب التاريخ للأمة، ذلك الكتاب الذي
يكون تاريخها، ويسجل أمجادها، ويروي أخبارها،
ويسطر محاسنها، ويفصح إلى مساورتها. وهذا هو ذلك
من شئون وشجون.

والسبب في هذه الميزة للشعر، هو الشاعر الذي
يُعتبر الناطق باسم قبيله، المسجل لأمجادها، المدافع
عنها، المطبق لرفواتها. إن الشاعر يتفاعل مع قبيله
هو يعبر نوعي أو غير نوعي عن أمور رتبها وقف المؤرخ
لها عند ظاهرها. أما الشاعر فإنه يتركز من أعماق قلبه
تلك الأمور، لأنه يتفاعل مع تلك الأمور، ويندمج فيها،
ويعبر بصدق عن عظيم أحاسيسه، ورفيق مشاعره.
وقد تحدث أبو تمام عن بيتته عن الخلال التي سبها
الشعر، ودونها، وناقلتها الرُّسنة، ونفعلت بها
النفوس، ورضيت لها العقول، وآمن بها الناس، وعملوا
بها، وقلوبها إلى أخلاق وسلوك.

يقول أبو تمام (١)

ولو لا خلال سبها الشعر ما دُرِي

بُناة القدي من أين تُوقى المطامير

عائذ جعل تلك الخلال الحسنة حيةً معمولةً بها ذلك
الشعر الذي تفتننا، وأفاعنا، وناقلت الرُّسنة،

ديوان أبي تمام ٥٠٦ ضبط معانيه وشروحه وأكملها إلياس الحارثي
دار الكتاب ولبناني الطبعة الأولى ١٩٨١م

ووعته القلوب، وانفعلت به النفوس، بسبب ما
يختص به الشعر من الجاز، وتركيزه وحلو موسيقى،
ولذي قافية، وسهولة حفظه، ويثير جريانه على
كل لسان.

لقد ظل هذا الاعتقاد بأن الشعر ديوان العرب القرون
تلو القرون، يتردد الخاصّة والعامة، ويجري القول به
على كل لسان. ومن أهم الأسباب التي دفعت إلى بقاء
هذا الاعتقاد أنّ الشعر كان يتبعوا منزلة، ليست
لفنون النثر.

ثمّ ظهرت لدى الأمة فنون أدبيّة جديدة منافسة،
مثل القصة، والرواية، والمسرحيّة، والمطبعة. وقد
تبوّأت القصة من العالم العربي مكانة مرموقة. ولأجل
ذلك فإننا سمعنا بعض كبار كتاب القصة يقولون: إنّ الشعر
لم يعد ديوان العرب، وقد حلت القصة أو الرواية مكان
الشعر، فأصبحت القصة أو الرواية هي ديوان العرب،
وليس الشعر.

وقد يكون هذا الكلام صحيحاً. وعموماً فالجميع سعداء
بهذه الفنون التي تكثر تكون جديدة على أمتنا، وهي
الفنون المفيدة. وبالإضافة إلى ذلك فإننا نقول:
إنّ الشعر العربي يستطيع أن يظلّ ديوان العرب.
وذلك للأسباب التالية:

١. لقد وقفنا على بعض الأسباب التي جعلت اللغة
العربيّة لغة موسيقى شاعرة. ومن أهم هذه

الأسباب كون اللغة العربية لغةً اشتقاقيةً، وقد
تفوقت اللغة العربية من مجال الاشتقاق على كل لغات
البشرية، هذا إلى ظاهرة الإعراب، ووفرة مفردات
اللغة العربية، فهي بفضل الله تعالى أثري لغات الإنسانية،
لأنها لا تكاد تعرف موت الألفاظ، وتلك تعرف نوم بعض
الألفاظ، ومصير النائم أن يستيقظ، هذا إلى تنوع
الصيغ الصوتية بفضل الاشتقاق، وقلّة حروف الكلمة،
فهي مع حروف الزيادة لا تتجاوز سبعة حروف.
والفضل في هذه النعمة التي تنعم بها اللغة العربية
أنها اللغة التي نزل فيها آداب كتب السماوية، وهو
القرآن الكريم، وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن
الكريم، وفي حفظ القرآن الكريم حفظ اللغة العربية،
نحوًا، وصدقًا، ولغة.

ب - من المؤكّد أنّ يوم اللغة العربية خيرٌ من أصلها،
ويأذن الله تعالى نعمها خيرٌ من يومها الماضيين.

ج - لقد جدّت فنونٌ على اللغة العربية. وكما جدّت
فنونٌ في مجال النشر كالتصويرة، والقفلة، والرواية،
جدّت فنونٌ في مجال الشعر، مثل شعر الملاحم،
والشعر المسرحي، وشعر الملاحم الشخصية.

د - لقد أصبحنا أكثر إحاطةً بميادين الشعر فلم
يعد الشعر محصوراً من الميادين التقليدية من مدح،

و - بسبب قدرة الشاعر على توزيع شخصيته ، وربما
توزيع أسخاره الصادقة فنياً والشديدة الخصوصية
على غيره من الشخصيات ، وبخاصة عن صياغة الشعر المبرح ،
من الجائز أن يتخفف الشعراء من نظرية ابن خلدون
عن المقامة (١) بأن الشاعر مع ارتفاع منزلته الاجتماعية ،
ويرتبط بذلك الارتقاء عن الشئ ، يتعالى على قول الشعر
أو يقلّ قوله للشعر .

ومما ساعد على هذا الارتداد عن قول الشعر تخلي
الشعراء عن رسالة الشعر ، وهو كونه ديواناً للعرب ،
فيه علومهم وأخبارهم وجملتهم (٢) فأصبح الشعراء
يتكسبون بشعرهم ، وربما مدحوا بشعرهم العرب ، الخلام
أولما جم الذين يركادون يفرون ما يقال لهم (٣)
ولكانت النتيجة السلبية لهذا الانحراف من الشعراء ،
أن أنف من قول الشعر ، أهمل الهم والمرايب
من المتأخرين ، وتغير الحال ، وأصبح تعاطيه ضئيلة
عن الرئاسة ، ومقدمة لأهل المنصب الكبيرة (٤)

لأن الفهم الصحيح لمعان تلك الفنون الأدبية الشعرية

- (١) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٣٢٢
- (٢) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٣٢٢
- (٣) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٣٢٤
- (٤) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٣٢٤

ومما استرنا الفعلية، إضافة إلى ميادين شعرنا
الفسقية، أتاح للشاعر أن يخفي شخصيته، أو أن
يتكلم بلسان هذه الشخصية أو تلك، أو أن يتكلم عن
هذه الشخصية أو تلك، دون أن يشعر بالخرج من
قول الشعر حينما يرتقي منصبه لاجتماعي أو حينما
تتقدم به السن.

إن هذه العوامل أقل شأن في عود للشعر مجدد
ودوره ديواناً للحرب، وسبيلاً لتأريخهم وأجسادهم.

(٥) تراث اللغة العربية أقدم تراث بشري بمقياس فهمه .
 بقعة زهاء مئة عام من وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت الدولة العربية الإسلامية تمتدّة دون انقطاع من غرب الصين شرقاً ، إلى مشارف باريس غرباً .
 وأذن يسير من هذه الدولة من الشرق إلى الغرب مثلاً .
 على أسرع ناقة من زهاء مئة شهر ، لا يحتاج إلى غير اللغة العربية من لغة ومسموعة ومكتوبة ومقرّوعة .
 وقد قرّفنا خصائص اللغة العربية ، من حفظ القرآن الكريم ، قواعد النحوية ، والصرفية ، واللغوية .
 بل حفظ القرآن هذه اللغة الشريفة وحفظ تراثها الشعري والتثري على حدّ سواء .

وبسبب حفظ الله تعالى القرآن الكريم الذي نزل في هذه اللغة الشريفة ، حفظت هذه اللغة ، وحفظ تراثها فلم يعب الزمن مؤثراً على هذه اللغة الشريفة وعلى كل تراثها .

وقد نجم عن هذه الحقيقة أنّ الزمن مهما طُل ، ليس جزءاً من هذه اللغة الشريفة . وإذا كان أقدم ما جاءنا من شعر مثلاً ، يعود إلى العصر الجاهلي ، الذي يمتدّ قبل الإسلام بين مئة وخمسين ومئتي سنة ، فإنّ هذا التراث الشعري القديم الذي يعود الآن إلى زهاء ألف وستمئة سنة ، نحن نقرّؤه اليوم ، ونفهمه ، ونستمع بقراءته . وإليك مثلاً قول عنزة بن شداد العبسي في معلقته مخالفاً محبوبته عبلة :

(١) مختار الشعر الجاهلي / ٣٧٦ وديوان عنزة ص ٢٥

فَلَا سَأَلْتُ الْقَوْمَ يَا ابْنَةَ مَايَكُ : إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقَائِعَ أَنَّنِي : أَعُشَى الْوَعَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمَقَمِ

المعنى : فَلَا سَأَلْتُ يَا عَمْبَلَةَ يَا ابْنَةَ تَهْمِي مَايَكُ ، إِنْ
كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي عَنْ بَطُولَتِي وَأَخْلَاقِي . يُخْبِرُكَ
مَنْ شَهِدَ الْمَرُوبَ أَنَّنِي أَخُوضُ أَعْمَاقَ الْحَرْبِ حَتَّى أُنْصَرَ
وَبَعْدَ النِّصْرِ أَعِيفُ عَنْ مَدِّ يَدِي إِلَى الْغَنِيمَةِ ، وَأَكْتَفِي
بِحَظِّي مِنْهَا وَاحِدًا مِنْ الْمُقَاتِلِينَ .

هذا الشعر قيل قبل ما يزيد على ألف وخمسمائة عام .
قارن هذين البيتين بقولي - مثلاً - عن مدينة قرطبة
عن الأندلس ، وهي إحدى المدن العشرين من العالم قديماً
التي كانت مُدناً حضاريةً ، ثقافيةً ، علميةً . إن مدينة
قرطبة كانت وَحْشًا مِنَ الْأَوْقَاتِ صُورَةً طَبَقَ الْأَصْلُ
مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، عَلَى سَائِكُنَا أُخْضِلَ الْفَضْلُ وَالسُّلَامُ
عَنِ مَجَالِ الْفَقْهِ وَفِي كُلِّ شَيْئُونَا عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ
وَكُلِّ شَيْئُونَا الْيَوْمِيَّةِ . لَقَدْ كَانَتْ قَرْطَبَةُ صُورَةً طَبَقَ الْأَصْلُ
مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ مَجَالِ الْفَقْهِ حَيْثُ إِنَّمَا تَتَّبِعُ فَخْهُ الْإِمَامُ
مَايَكُ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ وَالْمَوْطَأُ فِي الْحَدِيثِ . وَشَأْنُ
قَرْطَبَةَ صُنَا شَأْنِ غَرْبِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ابْتِدَاءً مِنْ لِيْبِيَا
حَتَّى أَقْصَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ لِمَا بِهِ
مَايَكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

ولمَّا كَانَ سَلُوكُ أَهْلِ قَرْطَبَةَ مِنَ الْفَقْهِ سَلُوكُ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، خِاتَمُ سُكَّانِ الْمَدِينِ الْمَجَاوِرَةِ ، وَسُكَّانِ

دول شمال أفريقيا وجدوا في فقه مدينة قرطبة فقه
المدينة فاقننوا بسكان قرطبة في الفقه ، لأثريا بمثابة
المدينة المنورة .

من هذه العجبة الحضارية قلت في القصيدة التاسعة
والعشرين من السيرة النبوية من القرآن الكريم شعرا (١)
من أبيات ٣٨٤ - ٣٨٦ ما يلي :

فأنت إن سرت في أسواق قرطبة رأيت حبيبة في الأسواق ثمارة (٢)

رأيت سكانها في كل شأنهم : سكان حبيبة قد سطت بهم دار (٣)

تكاد تسأل هل أنتم مهاجرة : أم أنتم الرسول الله أنصار

المعنى : فأنت إن سرت في أسواق مدينة قرطبة من
الاندلس وأزقتها ، رأيت المدينة المنورة في تلك الأسواق
تمشي من صيئة السكان الذين يمشون فيها بقصد الحصول على
الميرة بمعنى الطعام . رأيت سكان مدينة قرطبة في كل
شأنهم سكان المدينة المنورة قد بعثت بهم الدار فجاءوا
مدينة قرطبة . ولشدة الشبه بين المدينتين تكاد
تسأل سكان مدينة قرطبة : هل أنتم المهاجرون الذين
هاجروا من مكة المكرمة ، أم أنتم أنصار من الأوس والخزرج .

(١) السيرة النبوية من القرآن الكريم . الفترة المدنية ٥٦/٢
(٢) ثمارة : تسعى إلى الحصول على الميرة بمعنى الطعام .

(٣) سطت بهم دار : بعثت بهم دار .

وقد سرت شخصيا في قرطبة القديمة فوجدتها مثل مدينة المنورة القديمة .

ولما ذكرنا أننا نتحدثنا عن خلود اللغة العربية ، ولأنها لغة القرآن
الكرام ، الكتاب العزيز الذي تكفل الله تعالى بحفظه إلى
يوم الدين ، فإننا نود أن نتحدث عن حال أهم اللغات العالمية
اليوم ، وهي اللغة الإنجليزية ، والذي يصح بحقها يصح
بحق كل لغات الإنسانية ، لأنها ليست لغات كتاب سماوي
مقدس ، كما أننا نود أن نتحدث عن أعظم شعراءها ، وهو
وليم شكسبير ، المتوفى قبل زهاء أربعة قرون فقط
١٥٦٤ - ١٦١٦ م (١) والذي يصح بحقه يصح بحق كل لشعراء
إن أصحاب كل اللغات يشبهون اللغة بالشجرة التي
لها أربع وخمسة ، إن الشجرة من الربيع تكثر أوراقها
وتصيح ، وفي الخريف تسقط تلك الأوراق كي تحل في الربيع
غيرها . إن اللغة في ربيعها تكثر ألفاظها وتصيح ، وفي الخريف
تموت الألفاظ كي تحل محلها غيرها .

إن هذا الكلام صحيح بشأن كل تلك اللغات إلا اللغة العربية .
وإن ذكر أن قبل ما يزيد على نصف قرن حينما كنت أدرس في
بريطانيا كان يقال لنا إن أساتذة اللغة الإنجليزية يفهمون
اليوم شكسبير ، وكيف ياذن يفهمونه ؟ عن طريق المعجم
اللفظية التاريخية التي تبين معنى كل لفظة استعمالها
وليم شكسبير من مسرحياته أو أشعاره .

إن هذا الكلام صحيح ، إن هذه المعاجم اللفظية
التاريخية تطوّر الالة كل لفظة خلال العصور ،
كما تبين معاني ألفاظ شكسبير ، ومعاني تلك

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٠٧ ص

الألفاظ في عهد شكسبير.
وكيف تُفهم مسرحيات شكسبير على المسرح مثلاً.
هناك المسارح القومية التي تعرض مسرحيات
شكسبير على حالتها. وهناك المسارح التي تعيد كتابة
المسرحيات باللغة الإنجليزية المعاصرة، وتبقى صيكل كل
مسرحية، وتعرضها بهذه اللغة المعاصرة.

وهذا العمل ينطبق على الأعمال المسرحية المطبوعة.
فهناك المسرحيات كما كتبها شكسبير، وهناك
المسرحيات المكتوبة باللغة الإنجليزية المعاصرة.
والسبب من هذا الانفلاق سرعة تطور كل اللغات
الحية بلا استثناء، فكان كل لغة بمثابة القلب النابض
الذي تصل دقاته إلى مئة دقة فيما فوق من الحقيقة
الواحدة، وليس هذا التطور السريع دليل الصحة،
فالقلب السريع الغبرات سرعة غير عادية دليل الوفاة
أو قرب الوفاة، وليس دليل الصحة.

والسبب من هذا التطور السريع فالحق كل اللغات،
والتطور الطبيعي من حق اللغة العربية، أن اللغة العربية
هي اللغة التي نزل فيها القرآن الكريم، الذي تكفل الله
تعالى بحفظه، وحفظ القرآن الكريم حفظاً باللغة العربية.
إن اللغة الإنجليزية اليوم، هي أكثر اللغات انتشاراً
واللغة العالمية الأولى اليوم.

وهذه اللغة العالمية تعارفها كتابة مسرحيات شكسبير
إلى لغة إنجليزية معاصرة، وهو الشاعر العظيم الذي توفي
قبل أربعة قرون فقط. سنة 1717م

إذا كان هذا الذي يقال عن لغة هذا الشاعر العظيم
وعن اللغة العالمية الأولى اليوم من العالم،
فما الذي يمكن أن يقال عن شاعر اليوناني الأشهر
هو ميريوس الذي يُقَدَّر أنه عاش في القرن الثامن
قبل ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام (١)
وما الذي يقال عن ملحمته الخالدتين، الإلياذة
والأوديسة.

إن لغة الشاعر هو ميريوس هي بمنزلة لغة القبور
والنقوش، والآثار.

وما الذي يقال عن أرسطو (٣١٠ - ٣٢٢ ق. م) (٢)
وما الذي يقال - مثلاً - عن لغة كتابه فن الشعر (٣)

لقد ترجم العرب قديماً كتاب فن الشعر لأرسطو (٤)
ولخصوه (٥) وأصابعاً وأخطأوا، والذي يعنيني
هنا أن أبين أن الترجمة العربية لكتاب فن الشعر
لأرسطو لها دورها أصلياً في فهم النص الأصلي،
ولها دورها أصلياً في إكمال نقده، ومما قاله عبد الرحمن
بدوي في هذا الشأن (٦): "إن كثيراً من المواضع

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٩٢١

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١١٧

(٣) فن الشعر لأرسطو ترجمة عبد الرحمن بدوي عن اليونانية.

(٤) ترجمة أبي بشر مشي بن يونس القناني، فن الشعر ٨٣

(٥) شرح الفراء بن وابن سينا وابن رشد.

(٦) فن الشعر ٣٣

الغامضة ، والفروض ، والاقتراحات ، يمكن أن تُحلَّ
صعوباتنا عن طريق القراءة التي تقف بها هذه الترجمة
العربية » وهذا ما تتم فعله (١)

ولأن هذه الحقيقة أمكن الوصول إليها بسبب خلود
اللغة العربية ، التي تجمع بين التطور في أبهى حلاله ،
وبين الخلود في أعظم صغوره ،

ولأن كتاب فن الشعر لرسطو قام بترجمته إلى
اللغة العربية ، أبو بشر قتي بن يونس القناني
المتوفى في ١١ رمضان سنة ٢٢١ هـ ٢٢ يونيو
١٩٤٣ م (٢)

ولأن خلود اللغة العربية لأزلي لغة القرآن الكريم ،
يدفعني إلى اقتراح إنشاء معهد لترجمة تراث الإنسانية
إلى اللغة العربية ، كي تظل معاني النقص الأصلي محفوظة في
النقد العربي ، وبعد قرؤني ، قد تزيد وقد تنقص ، حينها
يستغلني النقص الأصلي في لغته على أصلها ، يستعان
بالتجربة العربية ، لغة الخلود ، وبأن من ترجمة النقص من
لغته الأصلية إلى اللغة ذاتها المتطورة المتحدة ، التي
سوف تصادف مصير اللغة الأصلية الأهم ، يترجم النقص

(١) فن الشعر ٣٣

(٢) فن الشعر ٣٣

من الترجمة العربية المفهومة ، إلى لغة الأصل المتجددة .
يأتى فى ترجمة تراث الإنسانية إلى اللغة العربية
حفظاً له من الضياع ومن سوء الفهم .

وصحة المعنى قلته فى القصيدة الرابعة والثلاثين ،
وهذه من زوايتها من الأبيات ١٠٨ - ١١١ (١)

وكلُّ آتٍ ، نَحْتَابُهُ أَيُّوْمَ مَعْرَاةٍ يُتَرْجَمُ عِلْمًا نَافِعًا وَيَسْطَرُّ

يُتَرْجَمُ مَا خَافَتْ بِهِ كُلُّ أُمَّةٍ ، وَجَادَ بِهِ فِى سَاحَةِ الْعِلْمِ عَبَقْرٌ (٢)

وَحَتَّى أَرَى التَّخْطِيطَ آتَى ثَمَارَهُ ، وَعُتِّبَ تَعْلِيمُ غِيَاثِي أَنْظَرُ (٣)

فَإِنْ كَانَ مَذْهَبُ جُودِ هَذَا مُيسَّرٌ ، وَإِلَّا فَاغْنِ أَمَلٌ وَمُكَلَّرٌ

وهذا يتبين أن اللغة العربية وحدها هي لغة
الخلود ، وهي القادرة بالترجمة إليها على حفظ التراث
الإنسانى القولى كله من الضياع .

والله تعالى المستعان /إلى سوان السبيل .

(١) السيرة النبوية من القرآن الكريم ، الفترة المدنية ٢/ ٣١٩

(٢) عبقر : موزع ينسب إليه العباقرة .

(٣) أنظر : أنظر .

(٦) نظم الشعر سؤال في اللغة العربية :
ذكرنا من ذي قبل مجموعة من الأسباب التي جعلت
من اللغة العربية لغة موسيقى شاعرة ، ونريد
أن نتحقق هنا شيئاً من أهم الأسباب التي ساعدت
على تحقيق هذه الغاية .

حينما ننظر إلى الأهم الفاضلة ذوات الآداب العالية ،
وكل لغاتها ليبتع منها لغة ذات وحي إلى ، وكتاب
سماوي مقدس ، ونضيف إلى ما تنقش به لغاتها
الفاصلة ، فإنها تقول إن اللغة تشبه الشجرة
التي لها ربيع وخريف ، وهذا أن الشجرة تنساقط
أوراقها من الخريف ، كنبت لها أوراق جديدة في
الربيع ، كذلك اللغة ، تنجد الألفاظ وصبغاً دائماً ،
فتموت الألفاظ القديمة كي تحل محلها الألفاظ
الجديدة ، أي الألفاظ الجديدة .

إن هذا الكلام صحيح بشأن كل لغة ليست لغة
كتاب سماوي مقدس ، ولذلك هذا الكلام ليس صحيحاً
في لغة العربية ، لأنها اللغة الشريفة التي نزل
فيها القرآن الكريم ، آخر الكتب السماوية وأشرفها .
ومن أجل ذلك نحن نقول عن اللغة العربية بأن
شجرتها من ربيع دائم ، فببركة القرآن الكريم الذي
تكفل الله تعالى بحفظه ، لا تكاد تعرف موت الألفاظ ،
بل تعرف نوم بعض الألفاظ التي تستيقظ يوماً .
ومن باب الأول لا تعرف اللغة العربية موت
القواعد والاصبغ ، إذ هي خالدة بخلود القرآن الكريم .

وإذا كان القوم قد شبهوا لغاتهم بالشجر الذي يتخلص من
أوراقه القديمة في الخريف ، كي ينبت صولها أوراقاً جديدة
من الربيع ، بينما اللغة العربية قتل الشجرة ذات الربيع
الدائم والخضرة المستمرة ، فإننا نؤثر أن نبين الفرق بين
الخطين ، حفاظاً لتلك اللغات وحفظاً للغة العربية ، بتبيين
حال كلٍّ من تلك اللغات وحال اللغة العربية فيما يلي .

إن حال كلٍّ من تلك اللغات ، شأنها شأنها ليست لغات كتاب
سماوية مقدسة ، يشبه حال النور الجائش الزاهر الذي
ليس من طريقه أية سيطرة أو عائق . إن كل الأنوار تسير
إلى البحار . وهذا النور الجائش الزاهر بمقدار الماء الذي
ينصب منه إلى البحر ينزوره السحاب والزمرد والبرق
بالماء الذي يساوي الماء الذي ذهب إلى البحر ينزبه
وهكذا تلك اللغات تموت أو تظلم أو ينضب ماؤها
إلى البحر ، وتموت أوراقها الجديدة أو تزورها الأمطار
بمثل الماء الذي خفته أو بأكثرم منه ، لأن اللغات الحية
دائماً من نموٍ مقرر .

أما حال اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم فختلف
فمنها الجياش الزاهر يحفظه سداً متيناً ، وقا جزمينغ
من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولذلك
فاللغة العربية من حياة دائمة ، ونمو مقرر ، ووفرة
ألفاظ مستمرة .

إن اللغة العربية أساساً أشرى لغات البشرية
بسبب إسلام الكثير من القبائل العربية في اختراع
الألفاظ واستعمالها . والعرب قوم تخطعوا من فن

القول شعراً ونثراً.

وبالإسلام اكتسبت اللغة العربية عند العرب والمسلمين
خاصة منزلة دينية، لأننا لغة القرآن الكريم والسنة
النبوية المطهرة، وبسبب حفظ القرآن الكريم والسنة
المطهرة هذه اللغة زاد ثرائها، هذا ما ثبتت قواعدها
وصيغها وأصولها.

إن هذه النعوت بمثابة السند الذي منع التسرب
عن اللغة العربية، هذا إلى تطورها خلال العصور،
وتلبية كل الاحتياجات العلمية والأدبية.
وهذا الثراء وظفه علماء هذه الأمة، وأربابها،
وشعراؤها، فيما يشبه أصرامات الكتب في جميع
الحقول والفنون.

ويعطينا هذا الشعر العربي، فانظر إلى أعمدة الشعراء
من اللغة العربية، وكثرة أشعارهم وجودتها.
ومن هو الذي لا يفتنه شعر شاعر من فحول
شعراء اللغة العربية، كالمثنبي، وأبو تمام، والبحتري،
وأبو العلاء المصنعي، وابن الرومي وأحمد شوقي.
ولابن الرومي من الخصائص ما يجعله شيخاً لكل
من أراد أن يتلمذ على شاعر عظيم، إن ابن الرومي
يمتاز بوصول أكثر شعره إلينا، وتحقيقه تحقيقاً علمياً (١)
هذا إلى ضخامة ديوانه، وطول نفسه بأكثر من غيره
من شعراء العربية، وجودة نسبه، وتوليده

(١) انظر ديوان ابن الرومي، أبي الحسن علي بن العباس بن
جريح، تحقيق الأستاذ الدكتور حسين نظار في سنة مجلدات فنناك.

لمعاني ، وتمكن قوافيه ، ومنها الشَّعْرُ الصَّعُوبَةُ .
 ولكن شعر ابن الرومي بمثابة النهر الملتقى الذي
 لا يكَلَّ ولا يمل ، ولذلك هو الشَّاعر الخليل من اللغة
 العربيَّة لأن يكون شيخ التلاميذ في مجال الشعر ،
 وذلك لتمييزه ، وبخاصَّة من مجال تحقيق شعره .
 ولا مانع من حذف بعض شعره واستغناء
 الشباب عن هذا البعض من الشعر المخطئ الأخلاق ،
 الرقيق الدين ، الشَّديد الكذب على عباد الله تعالى .
 إذا تمَّ الاستغناء عن هذا البعض من الشعر
 يبقى من شعر ابن الرومي ما يصح أن يكون به
 ابن الرومي شيخنا لكل متعلم للشعر العربي .
 إنَّ أصعب شيء في الشعر العربي حرف الروي
 أو القافية . وأنت واهد عند ابن الرومي في هذا
 المجال العجَب العجَاب (١)

ومن فضل الله تعالى علينا وعلى الناس أن وصلنا
 شعر ابن الرومي كاملاً أو شبه كامل .
 وما دُمنا نحدِّثنا عن روعة الشعر ، وغزارته ، ووصوله
 إلينا كاملاً أو شبه كامل ، فإننا نذكر بهذه المناسبة أغزر
 شاعر من اللغة العربيَّة ، مع روعة الشعر ، هذا إلى أنَّهُ
 الموسيقيَّة الشاعرة . وهذا الشاعر هو أبو العتاهية ،
 (١٣٠ - ٢١١ هـ ٧٤١ - ٨٢٦ م) (٢) واسمه عبد بن القاسم بن

(١) أنا شخصياً من المكثرين لقراءة شعر ابن الرومي بأكثر
 من قرأتين لشاعري العربيَّة الأُمِّهَيْن المثنَّبَيْن وأحد شوقي .

(٢) الأعلام ٣٢١/١

شَوْه العَيْنِي العَتَزِي ، من قبيلة تَمَنَزَة . وهو
شاعر مُرَصَّفٌ الإحساس عند القدرة على نسبة ما
يقال وتسمع من كلام عادي إلى محور الشعر العربي .
وأحياناً لا يغير شيئاً من الكلام وأحياناً يجرى بعض
التغييرات الطفيفة من نقص أو زيادة .

وهذا الشاعر العباسي شاعرٌ مكثّر ، سريع الخاطر
عن شعره إبداع . كان ينظم المنة والمنة والتمنين
بيناً عن اليوم . حتى لم يكن لإحاطة بجميع شعره
من سبيل (١)

وما سبق يتبين ما قلنا من سهولة نظم الشعر
من اللغة العربية .

فإذا تمّ توظيف الفنون الشعرية الجديدة كالملح
والشعر المسرحي ، وما إلى ذلك ، إضافة إلى فنوننا
الشعرية العظيمة أمكن للشعر أن يستعيد مجده ،
وأن يكون ديوان العرب كما كان من ذي قبل .

(١) إشعاع ١/٢٩

(٧) الملاحم العربية والإسلامية :
إذا نظرنا إلى الأدب العربي شعرًا ونثرًا وبحسبنا
عن الملاحم ، فإننا لا نلاحظ من القديم إلا سيرة عنتر بن
شداد ، التي تقع عادةً في ثمانية مجلدات ، أذكرها منذ
سبعين عامًا ، ولأت الطبعات التالية أو المصورات ،
ما خوزة عنها (١) أو أتأ ترتد ، بهذا.

والحقيقة أن سيرة عنتر ، بسبب روح الرجولة
والبطولة فيها ، وبسبب الظهور والعفاف ، وبسبب
الشعر الغزير فيها ، والنساء متفاوت منزلته بين الشرا
والخفيف وما بينهما ، هي أعظم أدب الملاحم من اللغة
العربية .

وتحق العرب لذكاء تعرف قيمة هذا الكنز العظيم الذي
يمكن أن يفيد منه الناسئمة قبل كبار السن ، لمجموعة
من الأسباب ، وما أنا إلى أهملها ، بحيث إن هذا الكنز العظيم
يستفيد منه الشباب في مجال القوم ، وأكتساب
الشجاعة والمروءة والرجولة ، وتذوق الشعر
وأفكرت بتي مع هذا السفر العظيم ، لقد كنت وأنا
صغير السن كثير القراءة لسيرة عنتر ، بأكثر من
تلك الكتب الشعبية والحكايات الأدبية ، التي كانت تباع
عن الطرق ، في كل من مكة المكرمة والطائف بنصف
ريال للنسخة الواحدة .

لقد كنت أقرأ في سيرة عنتر الأيام والتبالي

(١) أمامي الآن سيرة عنتر بن شداد ، في ثمانية مجلدات
نشر المكتبة العلمية الحديثة .

زوات العدد دون أن أفهم شيئاً. وبعد مدة طويلة
فوجئت أنني أفهم كل ما أقرأ، إلى الدرجة التي
أدركت معها أن الفهم صبط عليّ، كأنّ سحابة كانت تمنعه ثم
انفشت فجأة. وأعجب ما من الأمر أنّي لا زلت أسأل نفسي
متى بدأت أفهم ما أقرأ، فقد فوجئت بالتحول من
التقيد إلى التفويض.

وكانت سيرة عنتره وراء حجب شعر وشغفي به،
والحقيقة أنّ سيرة عنتره بن شداد، بمثابة المنجم
العظيم للشعر العربي في المقام الأول، وهي سيرة
خليقة بما أن تحقق تحقيقاً علمياً ممتازاً. وهي سيرة
مكتوبة الملمة الشعرية الثرية من اللغة العربية،
وخليقة بنا أن نعدّها من بدائعنا كما «بعد ما
الإفراج من بدائع آداب العرب، وقد ترجموها إلى
اللغة لمانية والفرنسية» (١)

ليس عند العرب قديماً سوى ملحمة سيرة عنتره بن
شداد ذات المستوى الفريد الخاص بها.

وله من العرب حديثاً ديوان صبح الإسلام أو الإلياذة
الإسلامية للشاعر أحمد محرم بن حسن عبد الله
(١٢٩٤ - ١٣٦٤ هـ ١٨٧٧ - ١٩٤٥ م) (٢)

وهي مجموعة قصائد في سيرة النبي محمد صلى الله عليه
وسلم في ثلاثة آلاف بيت (٣) إضافة إلى ديوان الشاعر.

(١) الأعلام عنتره العنبي / ٩١

(٢) الأعلام أحمد محرم / ٢٠٢

(٣) أحمد محرم، موقعه من الإنترنت.

وأحمد محرم شاعرٍ فقيرٍ ، حسن الرصف ، نقيّ لبيابة (١١)

وسيرة عنقرة بن شتاد من ابتكار العرب .
وديون مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، ثمرة
الوقوف على هذا الفن الوافد علينا بالمعنى الملمحي من
صيغة الإلياذة والأوليسية للشاعر اليوناني هوميروس ،
وما من حكمها من الملاحم .
وهكذا أصبح لدينا الشعر الملمحي ، إضافة إلى شعر
الحماسة والبهولة .

فإذا نظرنا إلى عالمنا الإسلامي وجدنا الشاعنة
باللغة الفارسية لشاعر الفردوسي ، أبي القاسم
٩٣٢ - ١٠٢٠ م (٢) ٣٢٩ - ٤١١ هـ (٣) وأكبر
نسخ الشاعنة تشتمل على ٦١٢٦٦ بيتاً وأكثرها
تشتمل على ما بين ٤٨ ألفاً إلى ٥٢٠٠٠ وأصغرها
نسخة تشتمل على ٣٩٨٥١ بيتاً . ولشاعنة الكثير
من المخطوطات (٤)
وهناك إشارة للفردوسي بأن الشاعنة تشتمل على
ستين ألف بيت (٥)

- (١) الأعلام ٢٠٢/١
 - (٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٢٨٦ ص
 - (٣) الشاعنة ٦٧ ص
 - (٤) الشاعنة ٧٨ ص
 - (٥) الشاعنة ٧٠ ص وانظر ص ٥٩ و ٧٠ ص
- ٦٧

والشاهنامه تشتمل على قسم آخر يتناول القصص
الشعبية، وعلى قسم تاريخي يتناول الدولة الساسانية (١)
حتى الفتح الإسلامي (٢)

والشاهنامه بدأ نظمها الشاعر أبو منصور محمد الرقيقي
ت ٩٥٢ ميلادية. وبعد أن نظم ألف بيت توقف (٣)
وقد بنى الفردوسي الشاهنامه على ما بدأه الرقيقي (٤)
ويقول الفردوسي لأنه كثر من نظم الشاهنامه
٣٥ سنة (٥)

وقد استنتج الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام
أن الفردوسي نظم في سنة واحدة زهاء ٢٨٠٠ بيت
وعلى سنة أخرى زهاء ألفي بيت (٦)
وقد ولد الفردوسي سنة ٣٢٩ م وتوفي سنة ٤١١
أو سنة ٤١٦ هـ (٧)

وقد ترجم الشاهنامه إلى اللغة العربية قوام الدين
الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني (٨) ثم أوليس شاعر.

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٢٨٦

(٢) الشاهنامه ٧٣

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ٧٩٩ والشاهنامه ٣٩

(٤) الشاهنامه ٣٩

(٥) الشاهنامه ٥٢

(٦) الشاهنامه ٥٤

(٧) الشاهنامه ٦٧

(٨) الشاهنامه ٩٦

وقد ترجمت المشاهنامة في أوائل القرن السابع الهجري (١)
 وقد ريجت بها اللغة العربية قصصاً جديدة، وأسلوباً
 من القصص طريفاً (٢)

ولا نزال نحن العرب بحاجة إلى أن نكتب الملاحم
 فنحن من هذا الموضع من فقر مدقع.

(١) المشاهنامة ١٠١ ص
 (٢) المشاهنامة ١٠١ ص

٨- هذا المشروع الشعري :
مشروع السيرة النبوية من القرآن الكريم شعراً
وديون مجد الإسلام ترتبط به بعض الأمور التي ربما
كانت مفيدة للقارئ . وهي على النحو التالي .
٩- بدأ التفكير في كتابة السيرة النبوية نشرًا مطبع
عام ١٤٣٤هـ .

١٠- بعد قراءة حرة عدة شعور مررت ببعض الملاحظات
لبعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، فحررتي حراً
عنياً ، فقررت أن أبدأ كتابة السيرة العطرة نشرًا ،
فأبني القلم أن يكتبها نشرًا فكتبها شعراً . وتمت كتابة
القصيدة الأولى من أربعين بيتاً ، وتمت كتابتها في
١٤٣٤/٦/١٤هـ .

١١- تمت كتابة ثمان وثلاثين قصيدة ورباعيتين اثنتين
عن السيرة النبوية العطرة ، عدد أبياتها ١١٧٧٣
بيتاً وتمت كتابة القصيدة الأخيرة في ١٤٣٩/٣/٢هـ

١٢- طبعت السيرة النبوية العطرة في أربعة
مجلدات . الفترة الملكية من مجلد واحد والمهنية في ثلاثة

١٣- تحملت هذه المجلدات الأربعة من هذا المشروع
الأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ .

و - القصائد العطرة عن المبعشرين بالجنة العشرة حملت
الأرقام من ٥ إلى ١٤

ز - قصائد الصحابة الأطهار من المهاجرين والأنصار،
وهي سبع قصائد حملت الأرقام من ١٥ إلى ٢١

ح - مجموع الأعمال الشعرية ثمانية وثلاثون عملاً.

ط - من بين هذه الأعمال الشعرية ثلاث مسرحيات
شعرية هي معركة اليرموك مسرحية شعرية، وتحمل
الرقم ٢٢ ومعركة دطين مسرحية شعرية، وتحمل
الرقم ٢٩ واسترداد القدس الشريف، مسرحية شعرية،
وتحمل الرقم ٣٠.

ي - عدد أبيات السبعة والثلاثين عنواناً الأول
٦٥٥ ٤٢

١ - العمل الثامن والثلاثون بعنوان : القصيدة
النبوية عن سيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم،
وهي قصيدة رائة من بحر البسيط تقع من ٢١٠٠
واحد وعشرين ألف بيت. وقد تمت كتابة أبيات
العشرة الأولى منها في ٢٢ / ١٠ / ١٤٣٩ هـ وتمت كتابة
القصيدة في ١٦ / ٦ / ١٤٤١ هـ والله الحمد والمئة. وبذلك يكون
مجموع أبيات هذا المشروع ٦٥٥, ٣٠٠ وثلاثة آلاف
وستمئة وخمسة وخمسين بيتاً. والله الحمد والمئة.

ل - الفضل لله تعالى أقوياً وآخراً من إتمام كل مشروع،
ثم لزوجتي الة كتورة فاطمة عبد الرحمن رمضان بن
حسين ، رئيسة الجمعية الخيرية لتخفيف القرآن الكريم
ملكة المكرة لمدة تزيد على الأربعين عاماً ، ومحمدة معده
الدراسات القرآنية بلبنات ملكة المكرمة لمدة تزيد على
العشرين عاماً ، والله الحمد والمينة .

م - احتاج هذا المشروع الشعري، من التفسير فيه حتى لما
الغنوان الأخير فيه ، إلى زهاء سبعة عشر عاماً
ونصف العام . والله الحمد والمينة .
وكل إنسان له شأنه وشجونه ، ويصح ويمرض ،
ياذن الله تعالى وقوده لا شريك له .

ن - كائن مشروع السيرة النبوية من القرآن الكريم
شعراً وديوان مجد الإسلام قوياً في اللغة العربية
معنى شعر الملاحم الشخصية .

س - القصيدة النبوية من سيرة محمد مثل الله عليه وسلم ،
وهي قصيدة رائية من بحر البسيط وتقع في
واحد وعشرين ألف بيت في أطول القصائد التي نظمت ،
والله الحمد والمينة .